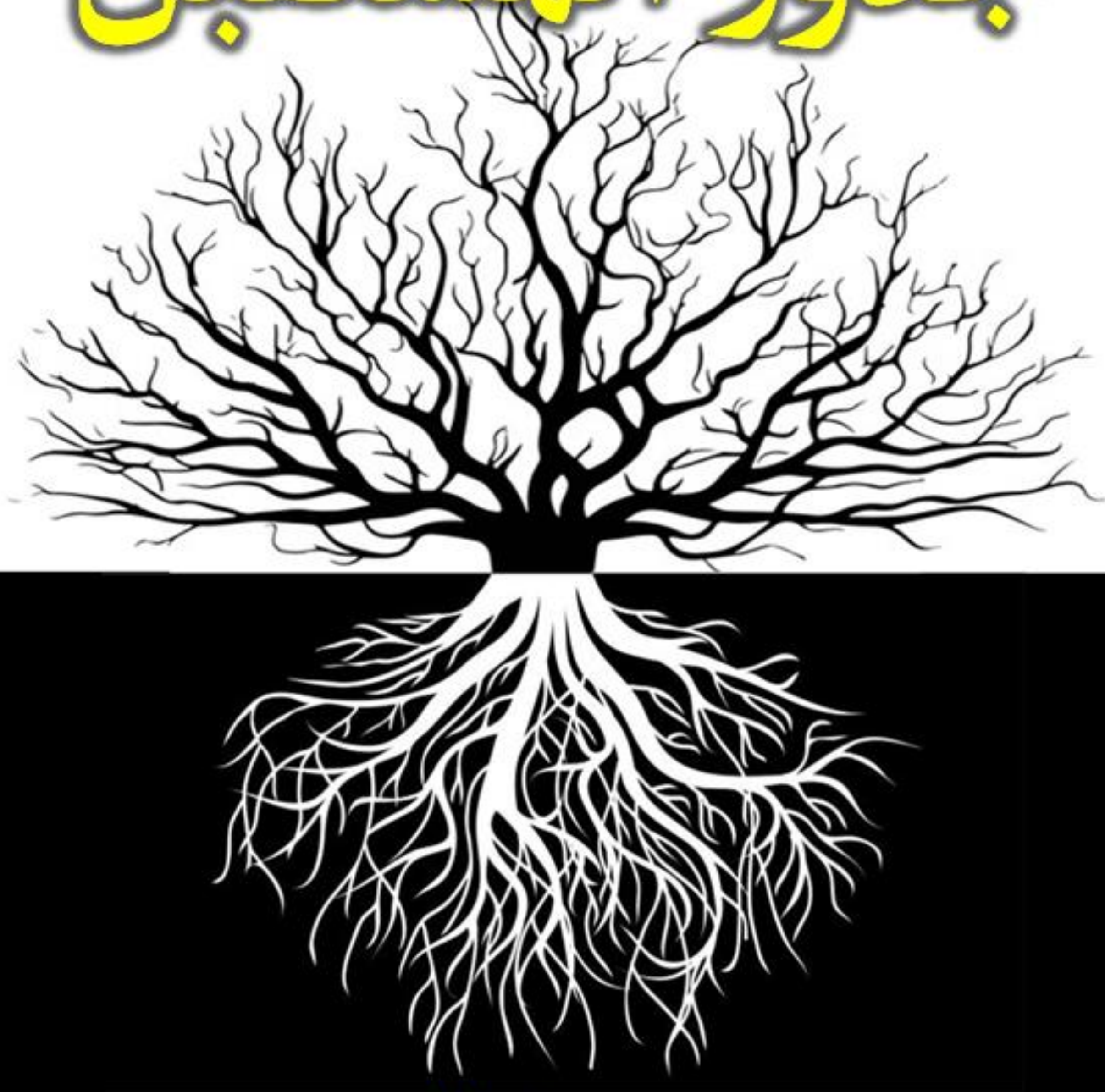
جذور المستقبل



محمد حسني نغوي

2025

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمَكَّةَ :

مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ وأَحبَّكِ إِلَيَّ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي

أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ .

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ.

==============================

جذور المستقبل

محمد حسني نغوي

2025

المقدمة:

شعوب كثيرة هُجّرت من مواطنها إلى دول أخرى وأصبحوا لاجئين فيها.. ثم أصبحوا مواطنين لها.. أبناء تلك الشعوب أخلصوا لأوطانهم الجديدة وبذلوا الغالي والنفيس لأجلها.. ولكن.. الاشتياق الذي في أرواحهم لأرض الأجداد لم يخبوا ويذوي.. وتوارثوه جيلاً بعد جيل.. وبرغم مرور العقود والقرون على مواطنتهم.. إلا أن صراعاً داخلياً في نفوسهم ما زال ملتهباً.. حيث سهام التشكيك والظن بمواطنتهم.. بين السعي الأبدي لإثبات انتمائهم لوطنهم الحالي وبين الشوق لوطنهم الذي هُجروا منه.. دون أن يخلوا تاريخهم من العمالة والخيانة.. الموجودة في كل شعب وفي كل حين.. فهل الاعتراف بأن لشعب مُهجر الحق بأن يُعترف بتاريخه وثقافته ولغته وحضارته.. يتناقض مع انتماء ذلك الشعب إلى وطنه الذي ولد أبناءه به وعاشوا وأخلصوا.

روايتي تتضمن أسماء مستعارة.. لكل قارئ.. من وجهة نظره.. الحق بإسقاطها على أوطان وشعوب وشخصيات يشعر أنها تصورها أو تنطق بلسانها.

أورافيا: الوطن المحتل الذي تم تهجير أهله

سليمان: الجد الذي عاصر احتلال وطنه

آدم: الصبي الذي هُجر من موطنه

ساره: الحفيدة التي أنطقت الماضي وانتزعت الغربة من قلبها

الدولة: الوطن الجديد

المنفى الأول

كان الثلج يتساقط خفيفًا فوق أرضٍ لم تُولد لهم، ولا لهم فيها جذور، ورغم برودة الهواء، كان صدر "آدم" ساخناً كالنار، يختزن أنفاس الهاربين من وطنٍ احترق، كانت القافلة تسير بصمت مشؤوم، لا صوت يعلو فوق صوت الحوافر، واحتكاك العجلات الخشبية بالأرض المتجمدة، عائلات، شيوخ، نساء، أطفال، يسيرون في خط طويل يشبه جنازة ممتدة لأرضٍ قد ماتت.

شدّ "آدم" طرف معطفه الممزق على جسده النحيل، ونظر خلفه، لم يكن يرى شيئًا، "أورافيا" كانت هناك، خلف الجبال، خلف الغيم، خلف الصمت.

قال جده بصوتٍ خافت متقطّع:

–لا تلتفت يا بُني، الذي يُكثر النظر إلى الخلف يتعثر في الطريق.

لكن "آدم" لم يكن يفتش عن تعثر، بل عن آخر أثر، آخر ظل، آخر نفس من أرضه التي سقطت.

عبرت القافلة الحدود، ودخلوا أراضي الدولة.

عساكر على الجانبين، يرمقونهم كما يُرمق الطين تحت الأقدام، ضحكات خفية، إشارات بأصابع، وبعض الأطفال من سكان القرى في الدولة يرمون الحجارة من بعيد ثم يهربون.

استقبلتهم الحكومة بخيم قماشية رمادية، متلاصقة، مرتبة كما تُرتب الأكفان.

نادى أحد الجنود، هذا هو مخيّم رقم خمسة "لاجئو أورافيا"، التوزيع يبدأ غداً، الطعام ثلاث مرات، ولا مغادرة دون تصريح.

"لاجئو أورافيا"، لأول مرة يسمع "آدم" تلك العبارة، لم يكونوا لاجئين، كانوا أصحاب أرض، أهل قلعة، أبناء الشمس التي لا تغيب عن القمم، لكن الآن، هم ضيوف، وربما غرباء.

في الليل كان البرد يقرص العظام، وكان الجد يشعل شمعة صغيرة كل مساء، يفتح كتاباً جلدياً قديماً، ويتمتم بكلمات غريبة.

اقترب "آدم" منه:

ماذا تقرأ يا جدي؟

ترانيم الأرض يا بُني.. هذه اللغة لم تعد تُكتب، لكننا نحفظها كي لا نموت مرتين.

هل سنعود يوماً؟

العودة ليست دائماً للأرض يا "آدم"، أحيانًا نعود لأنفسنا، لأنسابنا، لحقيقتنا.

مرت السنوات، بُنيت البيوت من الطين، ثم من الطوب.

كبر "آدم" وأصبح شاباً قوي الجسد، لكن وجهه ظل يحمل حزن المنفى.

لم يكن يشبه أبناء الدولة في ملامحهم، ولا في لهجتهم، ولا حتى في نظراتهم.

وفي أحد الأيام، دفن "آدم" جدّه في أرض الدولة

وضع على قبره حجراً كتب عليه بيديه المرتجفتين:

"هنا يرقد سليمان بن جبريل،

ابن أورافيا، ومزارع في المنفى.

لم يمت.. بل عاد إلى الأرض، ولكن من الجهة الأخرى".

وقف "آدم" قرب القبر طويلاً، ثم التفت إلى السماء.

في تلك اللحظة، أدرك أن الشتات ليس أن تُؤخذ من وطنك،

بل أن تُنسى من أهله، وتُشكّك في ذاتك، ويقال لك كل يوم:

"من أين أنت؟"

بزوغ الجيل الثاني

مرت عشرون سنة منذ أن وطئت أقدام "آدم" أرض الدولة، لكنها لم تكن كافية لتزيل أثر "أورافيا" من روحه، كانت الرياح في المخيم قد تغيّرت، لا برودة الشتاء تراجعت، ولا نظرات الناس ذابت، لكنّ النور بدأ يظهر، خافتاً، من بين الأقمشة المهترئة، ومن بين جدران الطين.. في شكل أطفال وُلِدوا دون أن تطأ أقدامهم تراب "أورافيا"، لكن في عروقهم ظلّ يدقّ بلحنٍ قديم.

"آدم" أصبح رجلاً، ملامحه صلبة، صوته هادئ، أسّس أول مدرسة صغيرة من الخشب والطين في أطراف المخيم، وسماها: "مدرسة العودة"، لم يكن الاسم مقصودًا كسياسة، بل كرسالة.

في الصف الأول، جلس عشرون طفلاً من أبناء المهجرين، بينهم طفل أشقر بعينين رماديتين، سأل في أول يوم:

أستاذ "آدم"، ما معنى "العودة"؟

ابتسم "آدم"، لم يُجب فورًا، بل كتب الكلمة على اللوح بحروف كبيرة، وقال:

معناها أن تعرف من أنت، حتى لو لم تصل أبدًا.

تتابعت الأيام، وتعلم الأطفال القراءة، ثم الغناء، ثم كتابة الشعر بلغتهم القديمة.

"آدم" أحيا اللغة، بعد أن كادت أن تموت.. وأعاد للمهجرين شعوراً بأنهم ليسوا فقط ضحايا، بل حملة رسالة.

وفي عامه الأربعين، وُلِدت له ابنة، سماها "ساره"، وكانت أوّل فتاة من أصول "أورافية" تُسجَّل في السجلات الرسمية كمواطنة من مواطني الدولة، كاملة الحقوق.

كانت "ساره" مختلفة منذ طفولتها، لم تكن تحمل حزن والدها، بل كانت مشتعلة بالحياة، تحب الأشجار، تتسلّق الأسطح، تصنع الطائرات الورقية من كتب التاريخ القديمة.

وحين سألتها معلمتها ذات مرة في المدرسة الحكومية:

من أين أنت؟

رفعت حاجبيها وقالت بثقة:

من الدولة.. بنت "آدم" ابن "أورافيا".

ضحك الصف كله، لكن "ساره" لم تضحك.

فهم "آدم" في تلك الليلة أن الجيل الجديد لا يريد أن يعيش في الحنين وحده، بل يريد وطناً حقيقياً، ملموساً، يُنسب إليه دون تفسير.

بدأ "آدم" يلاحظ شيئاً غريباً بين أبناء المهجّرين من "أورافيا"، بدأت تظهر لهجات جديدة، مزيج من اللغة القديمة والحديثة، ملامح ممزوجة، أسماء مزدوجة، بل وحتى عادات مستحدثة.

وكان يسأل نفسه:

هل نحن نذوب؟ أم نتطور؟ هل فقدان الشكل هو فقدان للجوهر؟ أم هو تجدّد؟

في تلك الفترة، بدأت الدولة باتخاذ خطوات جديدة، قوانين تمنح أبناء "اللاجئين القدامى" حق التعليم العالي، حق التوظيف في بعض الدوائر، وبعضهم التحق بالجيش.

جلس "آدم" يكتب في دفتر مذكراته:

"أنا لا أخشى الغربة يا "ساره"، لكن أخاف أن تكوني أول من ينتمي إلى وطن لا يريد أن ينتمي إليك".

ثم أطفأ المصباح، ونظر إلى وجه ابنته النائمة، وهمس:

الوطن.. شيء يُبنى، وليس فقط يُتذكّر.

الوطن الجديد

كبرت "ساره" في قلب الدولة، لكنها لم تكبر في قلبها.

كل شيء من حولها كان يشير إلى أنها مواطنة: شهادة ميلاد، بطاقة هوية، تعليم رسمي، وحتى لهجة أهل البلد، لكن في العيون، كانت دوماً تُسأل، دون كلام: "أأنتِ منّا؟"

في الجامعة، درست العلوم السياسية، بتفوّق لافت، كانت تحلم أن تدخل البرلمان، لا طمعاً في منصب، بل لتكون صوتاً لمن يُقال عنهم "أبناء أورافيا"، حتى بعد مرور أكثر من قرن على المنفى.

كانت كتبها مليئة بالعلامات، دفاترها حافلة بالخطب غير المكتوبة، ومذكراتها تفيض بأسئلة الهوية والانتماء.

قالت مرة لأحد أساتذتها:

أستاذ، هل المواطنة تُقاس بالورق؟

أجابها بضحكة ساخرة:

تُقاس بالورق حين يكون دمك غريباً.

بدأت "ساره" تظهر على بعض المنصات الإعلامية، تتحدث عن "الوحدة الوطنية"، وتدعو لنبذ التصنيفات العرقية.

كانت مؤمنة، بإخلاص حقيقي، أن "الأورافي" يمكن أن يكون إبناً نقيًا لهذه الأرض، بل قد يكون أكثر وفاءً من ابن الأرض نفسه، لكنّ شيئًا خفياً كان يتحرك في الخلفية.

في إحدى الجلسات البرلمانية، وقف أحد النواب وقال بتهكّم أمام الجميع:

"نحن نحترم كل المواطنين، حتى أولئك الذين جاؤوا إلينا على عربات اللجوء قبل مئة عام".

كان يقصدها.

لم يذكر اسمها، لكنه أطلق السهم بوجهها، أمام الكاميرات.

وبعد الجلسة، اقتربت منها إحدى الموظفات وقالت بابتسامة باردة:

"ساره"، أنتِ ذكية وموهوبة، لكن البعض هنا لا ينسى "أصل الناس".

عادت "ساره" إلى بيتها تلك الليلة ولم تتحدث.

"آدم" كان يجلس على شرفة منزله، يراقب الغروب، كما اعتاد.

جلست إلى جانبه بصمت.

همس دون أن ينظر إليها: هل ضاق بكِ المكان؟

أجابت: "لا.. بل الكلمات يا أبي.

أشعر أني أشرح نفسي طوال الوقت، وكأن اسمي وحده ليس كافياً".

"ربما لأنك تحاولين أن تُقنعي من لا يريد أن يقتنع".

صمتت لحظة، ثم قالت:

"ألا يمكن للأورافي أن يكون إبناً لهذه الدولة؟"

لا يا ابنتي.. ليس السؤال: "هل يمكن؟"، بل: "هل يُسمح له؟"

في اليوم التالي، كتبت "ساره" مقالاً بعنوان: "الوطن لا يُعرّف بنقاء الدم، بل بصدق الانتماء".

نُشر المقال في كبرى الصحف، وأثار جدلًا واسعًا، بين من وصفها بـ"صوت الوعي الجديد"، ومن اتهمها بأنها "تُمهّد لتمزيق الدولة عبر خطاب الأقليات"، ورغم العاصفة، لم تتراجع.

في خطابها الأول أمام جمهور واسع، قالت "ساره":

"نحن أبناء "أورافيا"، لا نحمل خنجراً خلف ظهورنا، بل مفتاحاً لباب لم يُفتح بعد، باب الاعتراف بأن الوطن ليس من يُولد فيك فقط، بل من تختاره وتبنيه وتدافع عنه في وجه من يشكّك بك".

لكن الريح بدأت تهبّ عكسها.

ظهرت منشورات في بعض الأحياء تقول:

"لا لتمكين الغرباء من القرار"

"الدولة لأهلها فقط"

كانت "ساره" تمشي يوماً في أحد الأسواق، حين سمعت سيدة تهمس لرفيقتها وهما تمران بقربها:

هذه التي تتحدث كثيراً.. ابنة ذاك "الأورافي".

لكنهم يقولون إنها مخلصة.

حتى لو.. الغريب لا يُؤتَمن.

في تلك الليلة، كتبت "ساره" في دفترها: "كلما اقتربت من الوطن، ابتعد عني...هل أنا التي أخطأت الطريق؟ أم أن الطريق ذاته قد صُمم ليأخذني بعيدا؟"

ثم أغلقت الدفتر، ونظرت من النافذة نحو السماء وقالت بهدوء:

إن لم يعترفوا بنا، سنكتب تاريخنا بأنفسنا.

جذور مقلوعة

في صباح رمادي، وبين رفوف مكتبة أرشيفية قديمة تقع خلف أحد المقرات الحكومية، اكتشفت "ساره" ورقة غير مفهرسة، طُويت لسنوات، وأخفاها الغبار. لم تكن تبحث عنها، بل كانت تبحث عن سجلات نسب "الأورافيين" المُهجّرين، لكن تلك الورقة كانت تختلف، لم تكن وثيقة عادية، بل أمراً عسكرياً مختوماً بتاريخ قديم، وموقّع من مسؤول في الدولة، تقول كلماته:

"بموجب الأمر العاجل رقم 12، يُنقل سكان "أورافيا" من مناطقهم إلى الأراضي الجنوبية، لأسباب تتعلق بالأمن العام والاندماج القومي، يُمنع عليهم العودة، كما تُزال ممتلكاتهم وتُعاد توزيع الأراضي لصالح المواطنين الأصليين".

وقفت "ساره" للحظة، كأن أحدهم سحب الأكسجين من الغرفة.

"إذن لم يكن تهجيراً اضطرارياً فقط، بل كان ممنهجاً" همست لنفسها.

استمرت في البحث.

صفحة وراء صفحة، وجدت خرائط ممهورة، تظهر أسماء قُراهم القديمة وقد استُبدلت، ومساجد أُغلقت، وأوقافٌ صودرت، وأسماء عائلات شُطبت من السجلات.

أغمضت عينيها.

كانت كلمات أبيها تتردد في ذهنها:

"الخوف ليس أن نُنسى، بل أن يُكتب تاريخنا بيد من أرادوا محونا".

حملت الوثائق معها، وذهبت مباشرة إلى والدها "آدم"، الذي كان يجلس على مقعده الخشبي كعادته، في باحة البيت الطيني.

ناولته الأوراق، نظر فيها طويلًا بصمت، ثم تنهد بعمق.

"كنت أعلم أنهم لم يريدونا هنا، لكنني لم أكن أعلم أنهم خططوا لاقتلاعنا بهذه الطريقة".

"أبي، هذا أكثر من ظلم... هذه مؤامرة على الذاكرة".

"وما الذي ستفعلينه بها؟"

"سأعلنها".

في اليوم التالي، وقفت "ساره" في إحدى قاعات الصحافة، أمام عدسات الكاميرات.

كانت ترتجف، ليس من الخوف، بل من العبء.

رفعت الورقة الأولى وقالت:

"هذه الوثيقة ليست من كتب التاريخ، بل من أرشيف دولتنا... تثبت أن التهجير "الأوراقي" لم يكن عشوائياً، بل أمراً إدارياً مقصوداً، وأن ما حُرمنا منه كان جزءاً من خطة شاملة لمحونا".

انفجرت القاعة همسًا، بعض الصحفيين بدأوا يلتقطون الصور، وآخرون انسحبوا بصمت.

ثم تابعت:

"نحن لم نطلب أكثر من الاعتراف. لا بالدموع، ولا بالندم، بل فقط بالحقيقة".

لكن العاصفة جاءت سريعة.

صدر بيان رسمي من وزارة الداخلية بعد ساعات:

"إنّ الدولة ترفض ما تمّ تداوله من ادعاءات غير موثّقة. الدولة تستند إلى وحدة ترابية وتاريخية، ولا تقبل العبث بالوئام الوطني".

لم تتوقف "ساره". قادت مجموعة من الباحثين، ونشرت ملفًا تفصيليًا بعنوان:

"جذور مقلوعة: الحقيقة المدفونة في ملف أورافيا"

انتشر الملف رقميًا، ترجم إلى عدة لغات، وتحوّل إلى قضية رأي عام، بين من دعم، ومن اتّهمها بالخيانة.

أحد أعضاء البرلمان قال علنًا:

"ما تقوم به هذه الفتاة "الأورافية" تهديد لوحدة البلاد، تحت ستار الحرية".

بينما علّق كاتب في صحيفة معارضة:

"لم نكن بحاجة إلى "ساره" لتُشعل الفتنة، كنا بحاجة لها لنفتح أعيننا".

تزايدت الضغوط على "آدم" وعائلته. رسائل تهديد، مراقبة، تحقيقات.

وفي إحدى الليالي، قال "آدم" لابنته:

"سنبقى هنا، يا "ساره". لا المنفى يرعبنا، ولا التهديد يغيرنا. لكن تذكري شيئًا واحدًا: من يملك الحقيقة.. لا يملك الحق في الصمت". ابتسمت، وضمت يده.

في تلك الليلة، كانت "ساره" تجلس على سطح المنزل، تُدوّن:

"حين قلنا إننا أبناء "أورافيا"، لم نطلب شفقة. طلبنا أن نكون جزءًا من الحكاية.. لا مجرد هامش على أطرافها".

ثم نظرت إلى السماء، وقرأت في الغيم المارّ فوقها:

"ما ضاع من الأرض سنسترده في الوعي".

ما بعد الحقيقة

منذ أن انتشر ملف "جذور مقلوعة"، لم تعد "ساره" مواطنة عادية، ولا ناشطة صامتة. تحولت إلى اسم تتداوله الصالونات السياسية، ومادة دسمة لبرامج المساءلة، وصورة مُعلّقة في منازل أبناء "أورافيا".. كأنها أصبحت لسان جماعة كانت مكسورة الصوت، منذ قرن.

دخلت "ساره" البرلمان عبر بوابة الحزب المدني المستقل، تحت عنوان: "من أجل العدالة التاريخية"

في أول جلسة لها، لم تحي أحداً، بل وضعت على مقعدها الخشبي مجلداً صغيراً، كُتب عليه بخطّ قديم:

"يوميات سليمان بن جبريل – المنفى الأول" ، دفتر جدّها.

حين أُعطيت الكلمة، وقفت "ساره" بثقة.

لم ترفع صوتها، لكنها تحدثت بلغةٍ شديدة الوضوح:

"سيدي الرئيس، السادة النواب،

أتيتُ إلى هذا المقعد لا لأرفع رايةً غير رايتكم، بل لأكشف رقعةً من الأرض لم ترَ النور.

هل يُعقل أن شعباً بأكمله، عُمّد بالمنفى، وأُعيد تشكيله على أرضكم، لا يُذكر في مناهجكم؟

هل من العدالة أن يُطلب من أبناء "أورافيا" الولاء دون أن يُمنحوا الاعتراف؟"

تبدلت الوجوه في القاعة، بعضهم ينظر في أوراقه، آخرون يتهامسون، وآخرون حدّقوا فيها بنظرة مختلطة بين التقدير والضيق.

ثم قالت الجملة التي ستُعاد آلاف المرات:

"ليس مطلبنا العودة، بل الاعتراف بأننا لم نكن غرباء حين وصلنا، ولن نكون كذلك ونحن نموت على هذه الأرض".

بدأت حملة مضادة تقودها أطراف من اليمين القومي في الدولة، تتهمها بـ"تحريك المياه الراكدة"، و"فتح جراح طُببت بصمت."

بينما ظهرت حركات طلابية ومجتمعية تؤيدها تحت شعار:

"التاريخ ليس جريمة – الاعتراف ليس خيانة"

في خضم هذه العاصفة، تلقى "آدم" دعوة لحضور ندوة عن "الهوية الوطنية"، كمتحدث رمزي.

كانت المرة الأولى التي يُدعى فيها بصفته لاجئًا سابقًا.

صعد إلى المنصة، ولم يحمل أوراقًا، بل وقف لحظة ثم قال:

"حين أُخرجنا من "أورافيا"، كنا نعتقد أن المنفى مؤقت... لكن الزمن علّمنا أن أقسى أنواع الغربة ليست فقدان الأرض، بل أن تُستبدل ذاكرتك بصمت الآخرين".

كان صوته خافتًا، متعبًا، لكنه أشعل تصفيقًا حارًا.

بعد أيام، صوّت البرلمان على مقترح "ساره" لإقرار يوم رسمي يُسمى:

"يوم الذاكرة الأورافية"

رُفض المقترح... بفارق صوتين.

لكنّ ما حدث بعد التصويت كان الأهم.

في الخارج، تجمّع الآلاف.

أبناء الجيل الرابع من "الأورافيين"، ومعهم متضامنون من مختلف أطياف الشعب.

هتفوا لا بغضب، بل بإصرار:

"نحن هنا... وسنبقى".

في تلك الليلة، دخل "آدم" غرفة "ساره"، وناولها صندوقاً خشبياً صغيراً.

قال لها:

"هذا آخر ما تبقى من مفاتيح بيتنا في "أورافيا"... لم يعد يصلح لفتح باب، لكنه يصلح لشيء أهم".

سألته: "ما هو؟"

فابتسم وقال:

"أن تعرفي أننا كنّا هناك... وهذا المفتاح شاهد".

وفي تلك الليلة، كتبت "ساره" في مفكرتها:

"ما بعد الحقيقة ليس راحة، بل مواجهة. لكننا لا نواجه كي ننتقم.. بل كي لا نموت بصمت مرّتين".

بيت من صمت

في صباح هادئ في أحد شوارع الدولة، شعرت "ساره" بضغط لم تعهده من قبل.

الضجيج الإعلامي تراجع قليلاً، لكن الصمت كان أثقل من أي صخب. كأن الحملة البرلمانية، والتأييد الجماهيري، والاحتجاجات، تركت فجوة كبيرة في روحها، مليئة بالأسئلة التي لم تُجب بعد.

في البيت، كان "آدم" يقرأ الصحف، وعيناه تبحثان عن أي خبر عن ابنته.

دخلت "ساره"، وجهها شاحب، عيناها ممتلئتان بالحيرة.

"أبي..." همست بصوت منخفض، "لقد وجدت شيئاً... شيئًا لم أكن أتوقعه".

جلس "آدم" مباشرة، نظراته مشحونة بالقلق.

"ماذا وجدتِ؟"

أخرجت من حقيبتها ظرفاً قديماً، مكتوب عليه بخط والدتها:

"لا تُفتح إلا إذا كنتِ مستعدةً لمعرفة الحقيقة الكاملة".

فتح "آدم" الصندوق بحذر، وتصفّح الوثائق المصفوفة بعناية.

كانت صور قديمة، ودفاتر، ورسائل مكتوبة بخط صغير، تحمل معلومات لم يسمع بها من قبل عن أفراد من عائلتهم.

اكتشفت "ساره" أن أحد أقرباء والدها، الذي كان يعتقد أنه مات في التهجير، عاش بالفعل، لكنّه انضم إلى جهة سياسية سرية داخل الدولة، وكانت له أدوار مشبوهة في محاولة لإضعاف "الأورافيين" المهجّرين.

"أبي، هل هذا صحيح؟!" صرخت "ساره". . . "هل كان أحدنا يتآمر من الداخل؟"

رمقها "آدم" بعيون دامعة:

"نعم... ولكن هذا لا يعني أن الجميع خائن. هناك من اختار البقاء صامتًا، وهناك من اختار البقاء مخلصًا.

المهم أن نعرف الحقيقة، لكي لا نخدع أنفسنا مرة أخرى".

مرت الأيام، و"ساره" تحاول استيعاب هذه الخيانة الداخلية.

الملفات التي وجدت جعلتها تدرك أن المعركة ليست مع الخارج فقط، بل مع الماضي العائلي، ومع أسرار كانت مخفية منذ قرن.

في إحدى الليالي، جلست "ساره" على شرفة المنزل، دفترها أمامها، و"آدم" إلى جانبها.

كتبت: "بيت من صمت.. ليس المكان الذي تسكنه، بل الأسرار التي تحيط بك. إن لم نواجهها، سيظل صمت الماضي يقتلنا بصمت".

وضع "آدم" يده على كتفها:

"ساره"، القوة الحقيقية ليست في كشف الخيانة فقط، بل في المضي رغماً عنها. إن عرفنا من نكون، سنبني وطنًا حقيقيًا في قلوبنا قبل أن نطالب الآخرين بالاعتراف".

وفي تلك اللحظة، أدركت "ساره" أن المعركة القادمة لن تكون سياسية فقط، بل شخصية أيضاً.

الماضي كان يطرق بابها، لكنها كانت مستعدة الآن للرد، بحكمة وصبر، وقوة لم تعرفها من قبل.

الرد على الصمت

استفاقت "ساره" في صباح رمادي، والهواء مشحون برائحة المطر، وكأن السماء نفسها تحذر من عاصفة مقبلة.

كان قلبها مثقلاً بالصدمة التي اكتشفتها في الأسبوع الماضي، لكن عزمها لم يضعف.

اليوم، كان يومها لترد على الصمت، لتواجه كل من حاول إخفاء الحقيقة أو التظاهر بالنسيان.

بدأت جولتها في أحياء الدولة التي يسكنها أبناء "أورافيا".

الناس ينظرون إليها بعينين مختلفتين: البعض بحذر، والبعض الآخر بأمل.

كانت ترافقها مجموعة من الباحثين والناشطين، يحملون معها ملفات ووثائق تدعم قضيتها.

في تجمع شعبي صغير، قالت بصوت واضح:

"لقد اكتشفنا حقائق لم يجرؤ أحد على ذكرها منذ قرن. اليوم لا نحمل غِلاً على أحد، بل نحمل الحقائق، لكي نبني مجتمعاً يعرف أصله قبل أن يُسقط نفسه في الوهم".

الملفات التي عرضتها تضمنت أسماء مخفية لعائلات "أورافيا"، رسائل من المسؤولين الذين أمروا بالتهجير، وصوراً لأماكن وبيوت تمت مصادرتها. الجمهور كان يستمع بانتباه، وعيونهم تلمع بالأسى والفخر في الوقت نفسه.

وفي خطابها، شددت "ساره":

"لا يمكن لأي حكومة أن تمحو تاريخ شعب بأكمله، ولا يمكن لأي زمن أن يغيّر جذورنا، الصمت كان خيارهم... والاعتراف سيكون خيارنا".

في البرلمان، بدأ نواب من أطياف مختلفة يتحدثون عن الوثائق، بعضهم بتعاطف، وبعضهم بتردد.

وأحد كبار النواب قال بصوت منخفض:

"ربما كنا نعيش في وهم... وربما حان الوقت لنواجه الحقيقة".

في البيت، جلس "آدم" يراقب وقد تحول خوفه إلى فخر.

قال لها:

"لقد بدأتِ يا "ساره"، بالرد على صمت قرن كامل، لكن تذكري، أن أكبر قوة لدينا ليست في الوثائق، بل في الإصرار على أن يعرف العالم أننا هنا، وأننا باقون".

ليلة ذلك اليوم، جلست "ساره" على شرفة المنزل، تنظر إلى النجوم، وتكتب في دفترها:

"الرد على الصمت ليس صخباً، بل إيقاظ للحقيقة، ومن يعتقد أنه قادر على محو الجذور، سيكتشف قريباً أن الجذور عميقة، وأنها لا تموت".

في الأحياء، بدأ الناس يرفعون صوراً لأجدادهم، كتبوا أسماءهم على جدران المدارس والمكتبات، وأصبح صوت "الأورافيين" يُسمع بصوت واحد لأول مرة منذ مئة عام.

وكانت "ساره" تعلم في قلبها أن المعركة لم تنته بعد، لكنها بدأت رحلة جديدة، رحلة الاعتراف، رحلة بناء الوعي، رحلة جعل الماضي حقيقياً في الحاضر، قبل أن يصبح حاضراً بلا معنى.

معركة الاعتراف

دخلت "ساره" البرلمان ذلك اليوم، والهواء مشحون بالتوتر.

الجلسة كانت مخصصة لمناقشة اقتراحها الرسمي لإقرار يوم الذاكرة "الأورافية"، والكل يعرف أن هذه المعركة لن تكون سهلة.

جلس النواب في أماكنهم، بعضهم يبتسم ببرود، وبعضهم يهمس فيما بينهم، وكأن كل كلمة ستخرج من فم "ساره" ستكون شمعة تضيء الظلام أو قنبلة تفجر الغضب.

وقفت "ساره" أمام المنصة، دفاترها ووثائقها أمامها، ونظرت في عيون الحضور بثقة:

"أيها السادة، نحن لا نطلب أكثر من الاعتراف بتاريخنا... أكثر من مئة عام من المنفى لم تُمحَ جذورنا، ولم يُمَس ولاؤنا، اليوم، نطلب من الدولة أن تقول الحقيقة، أن تعترف بأجيال من البشر عاشوا على هذه الأرض وأصبحوا جزءاً من نسيجها".

هتف أحد النواب من أقصى القاعة:

"نحن نحترم "الأورافيين"، لكن لماذا الآن؟ بعد قرن كامل؟ هل تريدون إعادة الماضي إلى الحاضر؟"

ابتسمت "ساره" بهدوء، وأجابت:

"ليس الهدف إعادة الماضي، بل بناء المستقبل على أساس الحقيقة. إن تجاهل الماضي لا يمحو الألم، بل يخلق جداراً بيننا وبين كل ما نسعى إليه".

بدأ خصومها السياسيون في مهاجمتها بحدة.

أحد النواب قال:

"هذا اقتراح يهدد وحدة الدولة، ويثير الانقسامات العرقية"

وردت "ساره" بثبات:

"الوحدة ليست صمتاً عن الحقيقة، بل الاعتراف بها. من ينكر جذورنا، ينكر جزءاً من الدولة نفسها. الاعتراف بـ "الأورافيين" ليس تهديداً، بل حماية للهوية الوطنية من الهشاشة".

الجلسة استمرت لساعات، وبدأت الأصوات تتغير تدريجياً، بعض النواب يبدون تفهماً، وآخرون يحتارون بين الموقف السياسي والتاريخي. وبينما كانت النقاشات محتدمة، دخل "آدم" صامتاً وجلس في آخر القاعة، يراقب ابنته بفخر وقلق في الوقت ذاته.

مع نهاية الجلسة، قرر البرلمان التصويت.

أصاب القلق "ساره"، لكنها كانت تعرف أن المعركة الحقيقية ليست في تصويت واحد، بل في وعي المجتمع الذي بدأ يسمع بـ "الأورافيين" لأول مرة.

كان التصويت قريباً، الأصوات متقاربة، وعندما أعلن رئيس البرلمان النتيجة:

"تم رفض الاقتراح بفارق صوت واحد فقط".

خرجت "ساره" من القاعة، متعبة ولكن لا تُهزم.

الجمهور الذي تجمع خارج البرلمان رفع شعارات مؤيدة، وبدأت صفحات التواصل الاجتماعي تنتشر بسرعة الضوء، تحمل كلماتها وأفكارها.

في المساء، جلست على شرفة المنزل إلى جانب والدها الذي قال لها:

"لقد فقدنا التصويت اليوم، لكننا لم نخسر القضية... الجذور التي كشفناها اليوم، ستظل حية في الأجيال القادمة. من يعتقد أنه قادر على إسكات الحقيقة، سينصت لها في النهاية".

"ساره" نظرت إلى النجوم وكتبت في دفترها:

"معركة الاعتراف لم تنته بعد، لكنها بدأت. اليوم رفضوا، وغداً سيعرفون أننا هنا، وأننا جزء لا يتجزأ من هذه الأرض".

ظلال الماضي

في ليلة صامتة، كان المطر يهطل على أسطح المنازل الطينية، ويدق على نوافذ البيت كما لو كان يحاول أن يُنبه "ساره" ووالدها إلى شيء مهم.

جلست "ساره" في غرفتها، دفترها أمامها، لكنها لم تكتب كلمة واحدة. في ذهنها كان يتكرر سؤال واحد :كيف يمكن للماضي أن يهدد حاضرنا؟

في صباح اليوم التالي، جاء "آدم" إليها ومعه مجموعة من الصور القديمة والوثائق التي لم تُرى من قبل.

قال بصوت هادئ ولكنه مشحون بالألم:

"لقد اكتشفت شيئاً عن أسرتنا... عن قرابتنا الذين أُخفوا عنّا... لم يكونوا مجرد ضحايا، بل بعضهم تورط في خيانات لم نتوقعها".

فتح "آدم" إحدى الصور، تظهر مجموعة من الرجال في لباس رسمي، بينهم رجل يبدو مألوفًا.

قال "آدم":

"هذا عمي الأكبر، لم يمت كما كنّا نعتقد... كان يعمل مع جهات سياسية داخل الدولة، وكان له دور في محاولات تقويض "الأورافيين" المهجّرين... لم أكن أعرف كيف أشرح لك هذا من قبل".

شعرت "ساره" بالصدمة، والارتباك يختلط بالحزن.

"هل تعني أن جزءًا من عائلتنا ساهم في أوجاعنا؟" همست.

"نعم، لكن ليس الجميع. القوة الحقيقية تكمن في معرفة الحقيقة، كي نتمكن من مواجهة الماضي قبل أن يُسيطر علينا".

بدأت "ساره" تدرك أن المعركة ليست خارجية فقط، بل داخلية أيضاً. لقد حان الوقت لمواجهة الظلال المظلمة لماضي عائلتها، والاعتراف بأن جذورهم المقلوعة لم تكن بريئة بالكامل.

في الأيام التالية، شرعت "ساره" في جمع كل المعلومات، مقابلة الأحياء، قراءة الوثائق القديمة، ومحاولة فهم دوافع من تورطوا في خيانات الماضي. كل اكتشاف كان يقوي إرادتها، ويجعلها أكثر تصميمًا على كشف الحقيقة.

ذات مساء، جلس "آدم" بجانبها، وقال:

"الظلال ليست دائماً عدواً، أحياناً، يجب أن نواجهّا لنرى الضوء بوضوح. اليوم، تعرفنا على جزء مظلم من تاريخنا... غداً سنبني عليه، لا أن نختبئ منه".

كتبت "ساره" في دفترها:

"ظلال الماضي ليست لعنة، بل مرشد... من يعرف جذوره بكل ما فيها، يصبح قادراً على بناء وطن لا يُمحى، وطن يحوي الحقيقة والعدل".

في ذلك المساء، كانت "ساره" تقف على شرفة المنزل، تنظر إلى المطر المتساقط، وتشعر بأن المعركة القادمة ستكون الأصعب، مواجهة النظام الرسمي، والمجتمع، والماضي نفسه، لكن قلبها كان صلباً كالحديد، وعينيها تتوهجان بإصرار لا يعرف الهزيمة.

الفجر الجديد

كان صباحاً مختلفاً في المدينة. الشوارع بدت أكثر وضوحاً، والسماء أفتح، وكأنها تعرف أن يوماً جديداً سيحمل شيئاً من العدالة لأول مرة منذ أكثر من قرن.

جلست "ساره" ووالدها "آدم" في مكتب صغير داخل مقر منظمة مدنية تأسست حديثاً، هدفها توثيق تاريخ "الأورافيين" في الدولة وإحياء حقوقهم.

"اليوم نبدأ خطوة مهمة يا "ساره"،" قال "آدم".

"أعرف يا أبي، وهذا الفجر الذي كنا ننتظره منذ سنوات".

كانت الخطوة الأولى عرضاً عاماً للوثائق والأرشيفات، مع تنظيم محاضرات في المدارس والجامعات، وندوات في الصحف ووسائل الإعلام. كان الهدف ليس إثارة الغضب، بل بناء وعي عام، وإظهار أن "الأورافيين" ليسوا غرباء، وأنهم جزء من نسيج الدولة.

في البرلمان، بدأت بعض الأصوات المعتدلة تدعم المقترح مجدداً، قال نائب مخضرم بلسان السياسي المحنك:

"لقد حان الوقت للاعتراف بتاريخ "الأورافيين". ليس فقط من أجلهم، بل من أجل مصداقية دولتنا أمام أبنائها".

خرجت "ساره" لتلقي كلمة أمام حشد جماهيري، وجمهور من مختلف الأعمار، يحملون صور أجدادهم.

قالت:

"لم نطلب منكم العودة إلى الماضي، لكننا طلبنا الاعتراف به. واليوم، الفجر الجديد يشرق على جذورنا المقلوعة. من يعرف تاريخه، يعرف حقيقته، ومن يعرف حقيقته، يستطيع بناء وطن يحوي الجميع".

في تلك اللحظة، شعرت "ساره" بأن آلاف الدعوات والدموع والأمل، وكل مئات السنين من المنفى، لم تذهب سدى.

"آدم"، واقفاً خلفها، ابتسم لأول مرة منذ سنوات وقال:

"الفجر الجديد ليس وعداً خيالياً، بل حقيقة نعيشها الآن".

ومع مرور الأسابيع، بدأت مؤسسات الدولة تعترف رسمياً بالتهجير التاريخي، ونُظمت فعاليات لتكريم "الأورافيين"، وأصبح يوم الذاكرة "الأورافية" جزءاً من التقويم الرسمي، رمزاً للاعتراف والتاريخ والوفاء.

في المساء، جلست "ساره" وأبيها "آدم" على شرفة المنزل، ينظران إلى أفق المدينة.

كتبت "ساره" في دفترها:

"الفجر الجديد ليس نهاية، بل بداية. نحن لم نعد غرباء، ولم يعد الماضي صامتاً، اليوم جذورنا في الأرض، وقلوبنا في الوطن، وعزيمتنا لا تعرف الهزيمة".

الوطن المكتمل

مرت سنوات منذ أن بدأت "ساره" رحلتها للكشف عن الحقيقة وإحياء حقوق "الأورافيين" في الدولة.

اليوم، كانت ترى ثمار جهودها وأبيها أمام عينيها.

في ساحة كبيرة، اجتمع الآلاف من أبناء "أورافيا" ومن مواطني الدولة، في احتفال رسمي لتكريم التاريخ والذاكرة.

كانت الأعلام ترفرف، والوجوه تتوهج بالفخر، والابتسامات لا تخلو من دموع فرح مختلطة بالحنين.

وقفت "ساره" على المنصة، وجلس "آدم" خلفها، متأملاً هذا الجمع الذي كان يوماً غائباً، ثم أصبح حاضراً، صادقاً، واعتُرف به. وقالت:

"اليوم، نقف على أرض لم تُنسى جذورنا فيها، اليوم، ليس الوطن لمن وُلد فيه فقط، بل لمن احتضنه وصدق انتماءه، اليوم، "الأورافيون" ليسوا غرباء بعد الآن، بل جزء مكتمل من نسيج دولتنا".

بعد انتهاء الاحتفال، توجهت "ساره" وأبيها "آدم" إلى منزلهم الجديد، الذي بُني على أرض الدولة، لكن بمفهوم جديد:

مكان يُعترف فيه بالجميع،

مكان يُسجّل فيه التاريخ،

مكان تُحترم فيه الجذور مهما كانت مختلطة.

جلس "آدم" على الشرفة، بينما نظرت "ساره" إلى الأفق، وفجأة قالت:

"أبي، شعرت وكأن كل خطوة تعبنا فيها، وكل دمعة، وكل صراع، كان يستحق العناء".

ابتسم "آدم"، ووضع يده على كتفها:

"لقد تعلمنا أن الوطن ليس مجرد قطعة أرض، الوطن مكتمل حين يعترف بالحقائق، ويحمي الذكريات، ويحتضن كل أبناءه، بغض النظر عن أصولهم".

في تلك الليلة، كتب كلاهما في دفاترهم:

الجذور لم تُمحَ،

ولم يعد الماضي صامتاً،

واليوم،

أصبح الوطن مكتملاً،

جذورنا فيه،

وقلوبنا فيه،

وعزيمتنا فيه،

وعاد الاسم الذي لطالما شكّكوا فيه،

ليصبح علامة على الصمود والوفاء.

ابتسمت "ساره" أخيراً، وهي تشعر بالطمأنينة لأول مرة.. منذ أكثر من مئة عام.

لم تعد الغربة في قلبها، ولم تعد الشكوك تعتلي روحها،

الوطن أصبح حقيقة،

والجذور المكتملة، صارت أساساً لكل المستقبل.

محمد حسني نغوي



- من مواليد عام 1969م.
- حاصل على دبلوم برمجة وتحليل نظم.
- متابع وباحث ومحلل في المسائل العسكرية والجيوسياسية والقضايا الاثنية.
- التحق بالخدمة العسكرية في جهاز الأمن العام خلال الفترة من 1990-2013م.
- أثناء خدمته العسكرية تم إلحاقه بالديوان الهاشمي العامر خلال الفترة 1998 ولغاية 2012م، وتولى قبل إنتهاء إلحاقه منصب السكرتير الاداري لسمو المبعوث الشخصي والمستشار الخاص لجلالة الملك المعظم.
- ساهم في تقديم دراسات احصائية لكتاب The 500 Most Influential Muslims الصادر عن المركز الملكي للبحوث والدراسات الإسلامية (RISSC) للطبعات (2009، 2010، 2011).
- من عام 2013 ولغاية عام 2015م عمل في جامعة العلوم الاسلامية العالمية (WISE) بوظيفة مساعد مدير ديوان الرئاسة ومساعد مشرف صندوق الطلبة الأجانب.
- من عام 2015 ولغاية عام 2017م عمل بوظيفة مدير مكتب المدير ورئيس هيئة المديرين في شركة المجموعة المتكاملة للتكنولوجيا (ITG).
- من عام 2017 ولغاية عام 2020م عمل بوظيفة رئيس قسم الادارة والموارد البشرية في شركة (JAWS) التابعة لمركز الملك عبدالله الثاني للتصميم والتطوير (KADDB).
- خلال عامي 2021 و2022 عمل بوظيفة المساعد الاداري للمدير العام لشركة الألفية للصناعات والتجارة الوطنية (Millennium).
- خلال الفترة 2022 ولغاية 2023 عمل بوظيفة المساعد الإداري للمدير العام لشركة الصناعات الدفاعية الأردنية (NDI).
- إبتداء من عام 2023م أصبح يعمل بوظيفة المساعد الإداري للمدير العام لشركة ألف الثلاثية العالمية.
- له مؤلفان منشوران (شهداء الأردن القفقاسيون) و (القفقاس حنين الناي).

- للتواصل mhnaghwai@gmail.com